

ISSN: 0550-1017

الأقلام

مجلة اللغة والأدب والثقافة

العدد: التاسع عشر

الطبعة: الأولى 2012 م



AL-AQLĀM

Journal of Arabic Language,
Literature and Culture

VOLUME 10 NUMBER 1
(DEC. 2012)

University of Maiduguri, Nigeria

8. Kankawi, U.I. (2012) إسهامات زمرة المؤمنين في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا: (The Contributions of Zumratul – Mu'mineen (Makondoro) in the Dissemination of Arabic and Islamic Civilization in Nigeria). *AL- AQLAM Journal of Arabic Language, Literature and Culture*. Vol: 10.No: 19, ISSN: 0331-1015, Pp.62-78, Published by Department of Arabic and Islamic Studies, University of Maiduguri, Maiduguri, Nigeria.

Al-AQLAM: Vol. 10, No. 19 (Dec. 2012) pp. 62 – 78 © Al-Aqlam

بحوث ودراسات

إسهامات زمرة المؤمنين في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا

عثمان إدريس الكنكاري

مقدمة:

كان إنشاء المدارس العربية والإسلامية من أقوى العوامل التي ساعدت في تطور اللغة العربية في نيجيريا. وعلى رغم طغيان الدولة واشتداد أعاصير الظلام بالحروب التوسعية المعادية، ورغم البدع الفاشية في تفكيك مناهجها التربوية في نيجيريا؛ فإننا لا نزال نرى في كثير من المدن النيجيرية مدارس عربية إسلامية، أسسها نخبة كريمة من علماء هذه البلاد العزيزة. فعلماء زمرة المؤمنين من بين أولئك العلماء الذين بنوا المدارس لتمثيل دورهم نحو تحريك التعليم العربي في نيجيريا، وهم قومٌ من العلماء النيجيريين، (أصحاب العائم الكبيرة)، امتازوا عن غيرهم بطريقة خاصة تختلف عن طرق غيرهم في مفهوم التربية والتعليم العربي ومناهجه، نشأوا في العقد الأول من القرن العشرين، (١٩٠٧م) في مدينة إلورن على يد الشيخ يوسف أبي بكر الأداراي، الأبهجي، الإلوري، النيجيري، الإفريقي المتوفى سنة ١٩٧٩م.

وهذا البحث يلقي الضوء على إسهامات زمرة المؤمنين في بناء المدارس العربية والإسلامية لنشر اللغة العربية. وفي البحث الأول ذكر للمعاهد التعليمية الرئيسية لدى زمرة المؤمنين، والبحث الثاني يقدم دورهم في إنشاء المدارس القرآنية، والبحث الثالث يبين إسهامهم في إنشاء الدهايز العربية والإسلامية والبحث الرابع في أهداف مناهج التعلم في مدارسهم القرآنية والدهايز العربية الإسلامية في نيجيريا.

البحث الأول: نبذة تاريخية عن زمرة المؤمنين ودورهم في إنشاء

المدارس القرآنية في نيجيريا

وزمرة المؤمنين في نيجيريا قومٌ من العلماء والأدباء النيجيريين، (أصحاب العائم الكبيرة) وطائفة إسلامية، نشأوا في العقد الأول من القرن العشرين (١٩٠٧) في مدينة إلورن،

الدكتور عثمان إدريس الكنكاري محاضر بقسم اللغة العربية، كلية التربية التابعة لولاية كوارا، نيجيريا

عن يد شيخ الشيوخ والمؤسس الأكبر لزمره المؤمنين في كافة أنحاء نيجيريا. الشيخ المرحوم يوسف أبي بكر الأداروي الأنيجي الإلوري النيجيري الأفريقي المتوفي سنة ١٩٧٩م. وقد خلعوا على أنفسهم في أول أمرهم "زمره المؤمن إشارة إلى لقب شيخ المؤسس للجماعة، وراحوا على ذلك حتى ذهب بهم الوعي و التفكير إلى تغيير الاسم إلى الزمرة الأدبية، ثم إلى زمره المؤمنين الأدبية ثم إلى جماعة زمرة المؤمنين، وفي الأخير اشتهر اسمهم بزمرة المؤمنين. وكان الناس يُسمونهم في بلاد يوربا (مِينْكَغُورُورُ) والمحرف في الأخير إلى (مَأكُونْدُورُورُ) معناه أصحاب الإقتان. ولقد تفرعت هذه الجماعة في بلاد يوربا، ثم انتشروا في أواخر أمرهم في بقاع بلاد نيجيريا وخارجها، مثل غانا، وساحل العاج وغيرها. وامتازوا عن غيرهم بطريقة خاصة تختلف عن طرق غيرهم في مفهوم التربية للتعليم العربي ومناهجه، وباتوا على عقيدة إسلامية - يراها بعض الناس شديدة - أوجب عليهم لبس العمامة الكبيرة وتوسيع الأكمام وإطلاق اللحية والكرهية الشديدة للتعليم الإنكليزي الأجنبي. وقد جابوا البلاد بمواعظهم الزاجرة على الكفار حتى أسلم على يدهم مئات الوثنيين والمسيحيين الجنوبيين.

هذا، فإن لم الفطنة والبُراية في قرض "واكا" الذي يعتبر غناءً شعبياً، ويجعل هذا الغناء الشعبي في طياته حكماً بالغة، كما يأخذ بأقوال القلوب عند الوعظ والإرشاد. والخفة أن علماء زمرة المؤمنين انقسموا إلى ثلاثة أصناف، فالصنف الأول منهم، هم الذين كان مبتدئ تعلمهم ومنتهاه مقصوراً على التعلم العربي والإسلامي دون غيرها عند شيوخهم، غير ماذن الأبصار إلى غيرهم. والصنف الثاني هم الذين تلمذوا في العلوم العربية والإسلامية على شيوخ زمرة المؤمنين ويعتزون بالانتساب إليهم، على الرغم مما يمتنعون به من التطلع إلى غير شيوخهم للزيادة في العلم والاحتكاك مع غيرهم لمسايرة الركب المعاصرة. أما الصنف الثالث فهم الذين كانت بداية تعلمهم العربي والإسلامي من علماء هذه الجماعة، ثم ذهبوا عنهم، إما لسبب الطوح في التعليم الغربي، أو الالتحاق بالمدارس الحديثة، ومن علماء هذا الصنف الثالث من يقر انتسابه إلى هذه الجماعة، ويؤري عليه شعار زمرة المؤمنين على مدار الساعة، ومنهم من يبتغي ويكره أن يلحق بهم.

أما المدارس القرآنية، فإنها تحتل مكانة مرموقة في المجتمع الذي يدين بالإسلام، وهي الأساس الأول واللبنة الأساسية للتعليم العربي ولقد اعتنى بها الأمة الإسلامية الغائرة وأهم العلماء الأفارقة لتعليم القرآن وحفظه وتفاووا في سبيله حاملين كل المشقة والتعب. وقد أثار

ابن بطوطة إلى هذه الظاهرة إبان زيارته إلى مملكة مالي الإسلامية سنة ١٣٥٢/٥٧٥٣م فقال: "وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظ القرآن، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه. ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون، فقلت له ألا تسرحهم فقال: لا حتى يحفظوا القرآن، فهكذا كانت حالة المدارس القرآنية عند مسلمي نيجيريا لحرصهم الشديد والعناية به. وتعتبر المدارس القرآنية في نيجيريا مؤسسات تعليمية أهلية لها منهج متوارث منذ القدم، وهي تماثل أمثالها في العالم الإسلامي فهي المراد بالكتاب والكتاتيب في مصر، والخلوة في السودان، والمدرسة في باكستان وأفغانستان، وسميت "مكزنتز آلو" بمعنى مدرسة اللوح في شمال نيجيريا، وفي الجنوب سموها إلكيئو قُراني" يعني مدرسة القرآن تميزاً لها عن المدرسة الحديثة التي وفد بها الأوروبيون وعن المدارس النظامية الحديثة (١).

ولما كانت مدينة إلورن الإسلامية همزة الوصل بين شمال نيجيريا وجنوبها بل المركز الإستراتيجي للتعليم العربي والإسلامي، ظهر في مدارسها القرآنية ما ظهر في أحوالها بالشمال. فلا تجانبنا الحقيقة إذا قلنا أن مدينة إلورن هي مكان نشأة زمرة المؤمنين فأصبحت من الضرورة أن تتسم تلك المدارس القرآنية التي أسسوها بسماة المدارس الشامية. ولهذه الجماعة أحسن الذكر والتاريخ المذهب في هذا الشأن منذ العقد الأول من القرن العشرين وهي لا تعتمد على الدعم الرسمي. ومن العسير أن تجد معهداً من معاهدهم، ولا ترى فيها قسماً مختصاً لتعليم القرآن، وقد أشرنا إلى تلك المعاهد في سالف قولنا، ويتخلّص دورهم في هذا الإطار بتلقين الناشئة الحروف العربية كتابته وقراءة يتوسلون بها إلى تعليم القرآن الكريم وتربية عقولهم على تعاليم الدين الطاهرة، ولعلمهم بهذا قد أدوا واجبهم نحو القرآن الكريم (٢).

المبحث الثاني: دور زمرة المؤمنين في إنشاء الدهاليز العربية

الإسلامية في نيجيريا

يقصد بالدهاليز للتعليم العربي تلك المدارس العتيقة، والمدارس الدينية التقليدية الأصلية التي انتشرت في المغرب الأقصى منذ الفتوحات الإسلامية، وتمتاز بأصالة التعليم وتلقين العلوم الشرعية وشرح مبادئ العقيدة الربانية. وتسمى هذه المدارس بمدارس الدين الإسلامي أو مدارس التعليم الأصيل أو مدارس التعليم التقليدي، أو التعليم القديم، أو المدارس الدينية أو المدارس القرآنية أو المدارس الشرعية. أو الكتاتيب القرآنية، المكتب، الكتاب والمسجد والدار الفقهية والمساجد والجوامع والروابط والزوايا، والمدارس الحضرية التي كان يشيدها السلاطين المغاربة بفاس ومراكش ومكناس وسبتة وسوس. ولقد عرفت

أولاً: دورها الديني

جنى هذا الدور في تعلم الناشئة الوطنية العلوم الدينية والعقيدة الإسلامية الصحيحة، وتعزيز مكانة السنة النبوية الشريفة في كل أرجاء بلاد يوربا شرحاً وتفسيراً علاوة على نشر العلم والحب على الأخلاق الحميدة والقضاء على الأمية، وذلك عن طريق تعليم القراءة والكتابة العربية وكتابة اللغات المحلية بالأبجدية العربية فكانت بهوة ديارهم والجامع والمسجد مكاناً لتحقيق هذا الدور الإيجابي الفعال. ويؤخذ عليهم في هذا الجانب التشدد على مخالفتهم في أمور العقيدة الإسلامية.

ثانياً: الدور المذهبي

أن معظم المدارس العتيقة في إفريقيا أنشئت من أجل صيانة السنة النبوية وحماية المذهب المالكي وتعزيزه، والعمل على الحفاظ عليه عن طريق تدريس مبادئه والاحتكام به في الفناء والقضاء والعدالة والتوثيق والمقاومة الشديدة على تلك المذاهب الاعتقادية المخالفة للمذهب المالكي مثل الخوارج والشيعة وغيرها مع التخلي عن المذاهب الأخرى التي لا تتلاءم مع البيئة الإفريقية كالمذهب الحنفي والحنبلي والشافعي. وإذا كان المرابطون والموجودون من أنصار هذه الفكرة فإن زمرة المؤمنين كانوا من بين أولئك العلماء الذين حافظوا على المذهب المالكي نظرياً وتطبيقاً، وذلك في اقتفاءهم على تعلم الكتب المالكية وتقديس أحكامه الفقهية والاعتقادية. فكانوا بهذا الدور من حفاظ التراث الفقه المالكي وعقيدة الأشعرية.

ثالثاً: الدور الاجتماعي

لا شك أن الحياة الاجتماعية في نيجيريا قبل الاحتلال البريطاني كانت مبنية على ما توارثه الناس من عادات الآباء والأجداد وعلى ما دعت إليها الأديان، فسرعان ما احتل البريطانيون أرضنا، فدعوا إلى نبذ العادات والغاء الدين الإسلامي. فالرجل الحضاري في المجتمع النيجيري هو من ذهب المذهب البريطاني في سره وجهره. فقام بعض العلماء غير الدينيين بدعوى إلى احترام التراث القومي، وحماية الوطن من دسائس التغريب والتنصير والتشكيك. أما علماء الدين فقد منحوا منحنى الإسلام فحشوا على حماية الدين الإسلامي من العبث والتشويه، والتدليس وتحسين المجتمع النيجيري من المظاهر الغربية، وتوحيد صفوف المسلمين والدفاع عن اللغة العربية دفاعاً مستميتاً عن طريق تدريس العلوم العربية والمواد الشرعية.

هنا، فإن زمرة المؤمنين في نيجيريا ليسوا ممن اغتروا بالدسائس الغربية، بل آمنوا كل الإيمان بإسلامية المجتمع فكانت صورتهم في المجتمع صورة إسلامية ذات حماسة دينية بلبس

العائِم للرجال والحجاب والجلباب لنسائهم، وانكبوا على التعليم العربي دون غيره، وإذا كانت الحياة الاجتماعية في بلاد يوربا تشف بشفاقة الدين الإسلامي فإن هذه الجماعة كانوا من الذين مثّلوا دورهم في هذا الجانب. وإن وضعوا بعض تعاليم الدين في غير محلها لشدة رغبتهم في إسلامية المجتمع.

رابعاً: الدور التّأطيري والتّنموي

ولقد مثلت دهليز التعليم العربي لزمرة المؤمنين أدوارها في تكوين الوعظ، والمرشدين والفقهاء والعلماء والمدرسين، والأساتذة الذين حملوا مسؤولية التوعية، والوعظ، والتكوين، والتأطير، ومساعدة السلطان والحكومة على أداء أدوارهما الطبيعية. ومن العجيب أن الدهاليز الزمرية خرجت مثل الشيخ موسى يعقوب أديباو الذي تولّى منصب التفسير في بلاط أمير الورن وفي المنطقة الغمرية التي تعتبر محط الرجاء للعلماء والفقهاء، وجادت بمثل البروفسور إسحاق أولوتيدي الذي كان له هذا الدهليز الزمري اللبنة الأولى في حياته التعليمية فاستطاع بهذه اللبنة الأولى أن يترقّى إلى الثقافات الأجنبية الأخرى حتى وصل إلى أعلى المراتب في الأوساط الأكاديمية.

خامساً: الدور الإصلاحي

كان دور الإصلاح من مهام الدهاليز الزمرية وكان إصلاح الدين هو المقدم على غيره والجهاد هو الوسيلة إلى تحقيقه عند علماء هذه الدهاليز وتلاميذه ولقد أشار الشيخ آدم عبد الله الإلوري إلى موقفهم في هذا الشأن حيث قال "ولكنهم خير من يجتهد للدعوة" (٤) ولقد أصبحت حارة أبيجي مكان نشأة زمرة المؤمنين من المناطق التي تسند إليها أجل الاحترام في العلم، وبهاها الناس بستر العورة عند المرور بها وذلك كله بفضل ضرب الحجاب الذي أشاد به الشيخ الأبهجي وامتد إلى الحارة كلها والحقيقة أن الناس كانوا يستعينون بتلاميذ هذه الدهاليز الزمرية عند الجهاد مع المشركين. لأن الجهاد عند هذه الجماعة صلح وسلاح لقمع الكفار. ولقد أسند آدم يحيى الفلاني استحسان هذا الجهاد القتالي الذي تقوم به هذه الجماعة إلى العوام حيث قال بعد وصفه الطويل لجهادهم: "وكان أي يغتبطهم ويعظمهم كلما يتحدث الناس عن علماء هذا البلد، وكثيراً ما كان يقول: ما أحسنه لو كان علماء هذا البلدة يسرون على منهاج هؤلاء المعممين في مجاهد" وكما أضاف استقباح منهجهم الجهادي إلى العلماء حيث

٢٨ :بعضات زمرة المؤمنين في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا
قال: " وكان الإمام على يبتسم كلما سمع ذلك عند أبي ويقول أحياناً في شيء من التهم ما أحسنه لو بدأوا محادهم من العلم" (٥)

المبحث الثالث: المعاهد التعليمية الرئيسية لدى زمرة المؤمنين

اعتاد القدامى من مؤسسي المدارس العربية في نيجيريا على إضافة اسم مؤسساتهم التعليمية الحرة إلى كلمة "المدرسة" ويقولون: مدرسة تحفيظ القرآن ومدرسة الشيخ عالم مثلاً، ولما جاء المتأخرون منهم تغير الوضع واحتلت مكان المدرسة كلمات جديدة يضاف إليها اسم المؤسسات التعليمية كادت هذه الكلمات أن تكون شعاراً لطائفة مستقلة أو رمزا يشار به إلى جماعة دون أخرى. ومن تلك الكلمات: معهد، مركز، دار وكلية. وثبت في تاريخ المدارس العربية في بلاد يوريا اليوم أن كلمة المعهد أصبح شعاراً للأديين تلاميذ الشيخ تاج الأدب أو الشيخ كمال الدين الأدي، وكلمة المركز للمركزيين تلاميذ الشيخ آدم عبد الله الإلوري. ونستعمل كلمة "الكلية" للمدارس الحكومية وكلمتي "الدار والمدرسة" تتداولان في نيجيريا بين المدارس بدون اختصاص قوم لها. والحقيقة أن كلمة "المدرسة" يحل استعمالها في الشمال النيجيري كمثل كلمة "الدار" في الجزء الغربي النيجيري.

ولقد وقع اختياري على كلمة "المعهد" للدلالة على مدارس زمرة المؤمنين في نيجيريا دون غيرها للحقيقة التي يعرفها البعيد والقريب من أن جذور هذه الجماعة انبثقت من الشيخ تاج الأدب. والمعهد في معناه الاصطلاحي منظمة دائمة، أنشئت لغرض معين وقد يكون مؤسسة للأبحاث أو جزءاً من الجامعة أو مؤسسة تعليمية حرة، (٦) والأخيرة هي المراد في هذا الصدد والمعاهد الدينية في القرن العشرين القرن الذي نشئت فيه معاهد زمرة المؤمنين، لا يمكن التفصيل بينها وبين المعاهد الدينية في القرن التاسع عشر الميلادي، ذلك أن لتلك المعاهد الدينية حمود بدأت قبل القرن التاسع عشر، واستمرت نشاطها إلى القرن العشرين كما قد أشار إلى ذلك الدكتور على أبو بكر. (٧)

فإن معاهد زمرة المؤمنين اتصفت بما اتصفت بها المعاهد الدينية التعليمية في القرن العشرين وأن كانت قد انتشرت في الآونة الأولى في ذلك القرن (١٩٣٠م). فصفة المعاهد الزمرية في ذلك الزمان ما كانت في الهيئة التنظيمية، حيث تكون المباني المناسبة التي تجمع في طياتها فصولاً ومكاتب، وتحتجز كل فصل من فصولها بمنهج المقرر والمدرسون أكفاء قد علم كل نفس مشرعهم، لكنها عبارة عن حجرة جلوس الشيخ في منزله، قد تكون واسعة أو ضيقة

حسب إمكانيات الشيخ المعلم وقد تكون مفروشة بحصر أو فرا، وقد لا يكون مفرشاً في مجلس الشيخ وحده، فهذا المعهد التعليمي هو في نفس الوقت مكان استقبال المصروفين فالعاهد التعليمية لدى زمرة المؤمنين في نيجيريا تُعد من المؤسسات التعليمية الحرة التي تحفز على المنهج التعليمي الكلاسيكي لتعليم الدين الإسلامي ومبادئ اللغة العربية، فهذا المعهد قد يكون حجرة من دار الشيخ المعلم وقد يكون بهوة داره حيث يمر الناس على الشيخ وتلاميذه ويصلهم ضوضاء الجيران، ولا يشترط على شيخ المعهد التحصيل على إجازات تؤهله للتدريس فالثقة المتبادلة بينه وبين تلاميذه هي الدافعة إلى القيام بالعمل حسب الطريقة التقليدية. وانتشرت هذه المعاهد في بلاد يوربا في نيجيريا التي نشأت فيها مثل إلورن إبادان، وإو، لاغوس، أوشوغو، أوبا، وغيرها، كما امتد انتشارها إلى الجزء القليل من شمال نيجيريا مثلاً. وثبت إن لهذه الجماعة فروع في خارج نيجيريا مثل أكرّا في غانا، وكوتونو (٩)، وتوغو وداهومي وكاميرون (١٠).

وفي هذا المقام أذكر بعض معاهد زمرة المؤمنين التعليمية بدون ادعاء الحصر لكثرتها والسبب في كثرتها، يتعلق بالتشجيع المستمر من قبل شيوخ هذه الجماعة لتلاميذهم بمجرد انتهاء دراستهم على تأسيس المدرسة لكي يفخر بها الشيخ ويتقى منها في المستقبل ما يأتي منها من الخيرات عند الوليمة. وهذه هي المعاهد التعليمية لزمرة المؤمنين حسب معاهدهم العامة في بلاد نيجيريا.

١- معاهد زمرة المؤمنين في مدينة إلورن

يعتبر معهد الشيخ يوسف أبي بكر الأهيجي أول مؤسسة تعليمية حرة لزمرة المؤمنين في نيجيريا. يقع هذا المعهد في حارة أهيجي التي كانت مسقط رأس مؤسس هذه الجماعة وبدأت نشاطاته منذ نشأته في العقد الأول من القرن العشرين (١٩٠٧). كان الناس لا يدخرون وسعاً في غشيان هذا المعهد للشرب من مناهله والاعتزاف من ينابيعه. فأصبح هذا المعهد كالمبتدأ الذي يؤثر في خبر فروع. ثم شاء القدر أن ينبغ في هذا المعهد علماء حملوا لواء شيخهم في التعليم العربي إلى حارتهم ومناطقهم في مدينة إلورن. وبهؤلاء العلماء استطاع المعهد أن يتفرع إلى فروع، أهمها ما أنشأها النقباء الستة للشيخ يوسف الأهيجي الذين وكلهم الشيخ مساعدته في التعليم حاله حياته وهي أ- معهد الشيخ محمد صالح بن أحمد التجاني بدار تيدنوتوما في حارة باككتا إلورن، ب- ومعهد الشيخ عبد الكريم عثمان دككو أدارا أهيجي إلورن

ج- ومعهد الشيخ عبد الرحيم عبد القادر أدارا أهيجي إلورن، د- ومعهد الشيخ إسحاق بوسيري موفولنشو بابا ساري، هـ- ومعهد الشيخ زكريا أكْيُوضُولَا أبُوجِ أهيجي، و- ومعهد الشيخ إسحاق أدارا أهيجي إلورن. ومن ملحقات هذه الفروع الهامة معهد الشيخ عثمان بن مصطفى بن محمد البخاري في دوران بكة إلورن، ومعهد الشيخ سلمان أوثُونُو إلورن، ومعهد الشيخ عبد الرؤوف بن علي بن السنوسي في حي أجكوي إلورن، ومعهد الشيخ محمد جامع في حارة إتاجيا، ومعهد الشيخ موسى يعقوب أَدِيَّايُو في الحي الغميري، ومعهد الشيخ محمد الهاشمي أَلْفَا إِنَلِي أُوْكُوتَاغِيدي، ومعهد الشيخ إلياس في دار أَيْيُوُو، ومعهد الشيخ محمود إِبَادِي أُوَزِي، ومعهد الشيخ سلمان في حارة أَلُوَزِي، ومعهد الشيخ أبي بكر غَارُونَا أُوْكُنْكَري، ومعهد الشيخ إبراهيم غانا أُونِين بكة، ومعهد الشيخ عبد السلام (صاحب القرآن) في أتاچيا ومعهد الشيخ حسين إَسْلِي أَسَا أُوْمَالُو، ومعهد الشيخ حنبلي في بيت أُولُولِي باني إلورن، ومعهد الشيخ نور الدين دار إِيَا إِيَا بَكَّة ومعهد الشيخ أحمد الليب باباَسَرِي ومعهد الشيخ أمين الله كِينْدِي إِيَا أُوْعُنْبُو(١١).

٢- معاهد زمرة المؤمنين في مدينة إبادن

لم تكن مدينة إبادن مركزاً تجارياً دبلوماسياً هاماً فحسب، بل منتدى العلماء ومحوى اللاجئين، وهي مع ذلك ميقات الصراع بين التعليم العربي والتعليم الغربي. لذلك كان العلماء يشدون إليها الرحال لنشر العلم والدين ولقد نالت اهتمام العلماء لمكانتها بين أخواتها من البلاد في نيجيريا. ولعل تلك الخصوصية التي تتميز بها مدينة إبادن كانت من أكبر الحوافر لمعوية الشيخ يوسف أبي بكر الأهيجي أن يرتحل بأمر شيخه إلى تلك المدينة فأسس بها أول معهد تعليمي تقليدي كانت قلوب تلاميذه المعارف تهوى إليه للاقتباس من نور ذلك الشيخ، والالتقاط من فرائده القيّضة وذلك في العقد الثالث من القرن العشرين (١٩٣٠) ولقد اتخذ ذلك المعهد مكانه الأول بمنزل أُولُوشُنْ في إبادن ثم انتقل إلى حي أَسَا في إبادن، وانتصر هذا المعهد برجال واصلوا جناح الشيخ يوسف الأهيجي على تحقيق أمنيته المنشودة، بل بأخيار من تلاميذه الذين أحاطوا به إحاطة الهائلة بالقمر والأكام بالثمر. فبهم بارك الله سعي المعهد، فأسسوا المعاهد التي تنظر بمنظار شيخهم وتقني إثر المعهد الأول وذلك بعد ما تقوى شوك المعهد الأول، وطوى الشيخ الأهيجي بساط الإقامة إلى مدينة إلورن (١٩٥٧) وخلفه في هذا المعهد الشيخ صالح الدين أَيْسُنْ نِيَوِيُوا. ومن أهم تلك المعاهد لزمرة المؤمنين في مدينة إبادن معهد الشيخ عبد السلام بمديلي أمنغن الذي شاعت به أفكار زمرة المؤمنين في جنوب

نيجيريا. الأمر الذي جعل بعض الكتاب يقابونه الزعامة لكافة الجماعة في سرسنة. ثم بعد
الشيخ أبي بكر أورثاميرن، ومعهد الشيخ عالم أورأري، ومعهد الشيخ أحمد الرفاعي، ومعهد
الشيخ أمسا، ومعهد الشيخ زكريا أوكي زئي أنبافج، وهو من أكابر تلاميذ الشيخ يوسف
الأهجي الذي تعلم عند الشيخ في إلورن وإبادن وكان ينوب الشيخ في تعليم القباء السنة
وغيرهم (١١٢) ومن تلك المعاهد معهد الشيخ عبد الرشيد أولوزي ومعهد الشيخ إسماعيل أبي
أودن ألفا بلابلأ، ومعهد الشيخ مبلغ صوت بلالا الشيخ عبد السلام أميغن في الوعط ومعهد
الشيخ أكيلأ وحليفته الشيخ محمد الهادي، ومعهد الشيخ عبد الرحيم أكينيلي إبادن (١١٣)
وتعتبر مدينة إبادن عاصمة حركة زمرة المؤمنين ومركز تنفيذي لأفكارهم القديمة والحديثة ومكان
الانتصار والانتشار.

٣- معاهد زمرة المؤمنين في لاغوس

لا شك أن لاغوس كانت من قبل عاصمة نيجيريا، وكان الناس يقصدونها ويستوطنونها لمكانتها المؤثرة في قلوب أبناء هذه البلاد وهي عند العلماء دار الهجرة لنشر الدين والتعليم العربي، وقد بنوا فيها مراكزهم ومعاهدهم التعليمية بل هي محطة الجد والهزل ومركز الامتياز. ولقد اقتدي بعض علماء زمرة المؤمنين بغيرهم من العلماء فأقاموا بلاغوس فأسسوا بها معاهدهم التعليمية التابعة لزمرة المؤمنين الأم في جميع حركاتها. شأنها كشأن المدارس المركزية والمعاهد الأدبية إلا أنها تحافظ على الأسلوب القديم في تعليم الدين والعربية. ومن تلك المعاهد، معهد الشيخ زبير أرازومي، تلميذ الشيخ يوسف الأبهجي وشريك الشيخ عبد السلام بمبيلي، ثم معهد الشيخ أُولُو الذي كان شريكاً للشيخ زبير أرازومي. ومعهد الشيخ عبد الفتاح إجاكو تلميذ الشيخ الأكبر ومعهد الشيخ أتي نيزوما تلميذ الشيخ أيتنامي أوقا، ومعهد الشيخ الشافعي مصطفى إمالوفا تلميذ الشيخ الأكبر الأبهجي ومعهد الشيخ يحي أكونديدي إكونو تلميذ مباشر للشيخ الأبهجي. ومعهد الشيخ عبد الرحمن تقوي الله هو الأكبر في مدينة أني.

٤- معاهد زمرة المؤمنين في مدينة أوقا:

وكانت في قديم تاريخها تتخذ منها من مدينة إلورن في الأمور الدينية والأوضاع السياسية، لذلك كان من الميسور أن يمتد إليها كل ما انتشر في مدينة إلورن، فمعظم ثقافتها الدينية

أولاً: دورها الديني

تتمثل هذا الدور في تعليم الناشئة الوطنية العلوم الدينية والعقيدة الإسلامية الصحيحة، وتعزيز مكانة السنة النبوية الشريفة في كل أرجاء بلاد يوربا شرحاً وتفسيراً علاوة على نشر العلم والحج على الأخلاق الحميدة والقضاء على الأمية، وذلك عن طريق تعليم القراءة والكتابة العربية وكتابة اللغات المحلية بالأبجدية العربية فكانت بهوة ديارهم والجموع والمساجد مكاناً لتحقيق هذا الدور الإيجابي الفعال. ويؤخذ عليهم في هذا الجانب التشدد على مخالفتهم في أمور العقيدة الإسلامية.

ثانياً: الدور المذهبي

أن معظم المدارس العتيقة في إفريقيا أنشئت من أجل صيانة السنة النبوية وحماية المذهب المالكي وتعزيزه، والعمل على الحفاظ عليه عن طريق تدريس مبادئه والاحتكام به في الفناء والقضاء والعدالة والتوثيق والمقاومة الشديدة على تلك المذاهب الاعتقادية المخالفة للمذهب المالكي مثل الخوارج والشيعة وغيرها مع التخلي عن المذاهب الأخرى التي لا تتلاءم مع البيئة الإفريقية كالمذهب الحنفي والحنبلي والشافعي، وإذا كان المرابطون والموجودون من أنصار هذه الفكرة فإن زمرة المؤمنين كانوا من بين أولئك العلماء الذين حافظوا على المذهب المالكي نظرياً وتطبيقاً، وذلك في اقتضاءهم على تعليم الكتب المالكية وتقديس أحكامه الفقهية والاعتقادية. فكانوا بهذا الدور من حفاظ التراث الفقه المالكي وعقيدة الأشاعرة.

ثالثاً: الدور الاجتماعي

لا شك أن الحياة الاجتماعية في نيجيريا قبل الاحتلال البريطاني كانت مبنية على ما توارثه الناس من عادات الآباء والأجداد وعلى ما دعت إليها الأديان، فسرعان ما احتل البريطانيون أرضنا، فدعوا إلى نبذ العادات والغاء الدين الإسلامي. فالرجل الحضاري في المجتمع النيجيري هو من ذهب المذهب البريطاني في سره وجمهره. فقام بعض العلماء غير الدينين بدعون إلى احترام التراث القومي، وحماية الوطن من دسائس التغريب والتنصير والتشكيك. أما علماء الدين فقد نحوا منحى الإسلام فحثوا على حماية الدين الإسلامي من العبث والتشويه، والتبليس وتحصين المجتمع النيجيري من المظاهر الغربية، وتوحيد صفوف المسلمين والدفاع عن اللغة العربية دفاعاً مستميتاً عن طريق تدريس العلوم العربية والمواد الشرعية.

هنا، فإن زمرة المؤمنين في نيجيريا ليسوا ممن اغتروا بالدسائس الغربية، بل آمنوا كل الإيمان بإسلامية المجتمع فكانت صورتهم في المجتمع صورة إسلامية ذات حماسة دينية بلبس

العائم للرجال والحجاب والجلباب لنسائهم، وانكبوا على التعليم العربي دون غيره، وإذا كانت الحياة الاجتماعية في بلاد يوربا تشف بشغافة الدين الإسلامي فإن هذه الجماعة كانوا من الذين مثّلوا دورهم في هذا الجانب. وإن وضعوا بعض تعاليم الدين في غير محلها لشدة رغبتهم في إسلامية المجتمع.

رابعاً: الدور التأطيري والتنموي

ولقد مثلت دهليز التعليم العربي لزمرة المؤمنين أدوارها في تكوين الوعاظ، والمرشدين والفقهاء والعلماء والمدرسين، والأساتذة الذين حملوا مسؤولية التوعية، والوعظ، والتكوين، والتأطير، ومساعدة السلطان والحكومة على أداء أدوارها الطبيعية. ومن العجيب أن الدهاليز الزمرية خرجت مثل الشيخ موسى يعقوب أديبايو الذي تولّى منصب التفسير في بلاط أمير الورن وفي المنطقة الغمبرية التي تعتبر محط الرجاء للعلماء والفقهاء، وجادت بمثل البروفسور إسحاق أولوتيدي الذي كان له هذا الدهليز الزمري اللبنة الأولى في حياته التعليمية فاستطاع بهذه اللبنة الأولى أن يترقّى إلى الثقافات الأجنبية الأخرى حتى وصل إلى أعلى المراتب في الأوساط الأكاديمية.

خامساً: الدور الإصلاحي

كان دور الإصلاح من مهام الدهاليز الزمرية وكان إصلاح الدين هو المقدم على غيره والجهاد هو الوسيلة إلى تحقيقه عند علماء هذه الدهاليز وتلاميذه ولقد أشار الشيخ آدم عبد الله الإلوري إلى موقفهم في هذا الشأن حيث قال "ولكنهم خير من يجتهد للدعوة" (٤) ولقد أصبحت حارة أبيجي مكان نشأة زمرة المؤمنين من المناطق التي تسند إليها أجل الاحترام في العلم، وبهاها الناس بستر العورة عند المرور بها وذلك كله بفضل ضرب الحجاب الذي أشاد به الشيخ الأبيجي وامتدّ إلى الحارة كلها والحقيقة أن الناس كانوا يستعينون بتلاميذ هذه الدهاليز الزمرية عند الجهاد مع المشركين. لأن الجهاد عند هذه الجماعة صلح وسلاح لقمع الكفار. ولقد أسند آدم يحي الفلاني استحسان هذا الجهاد القتالي الذي تقوم به هذه الجماعة إلى العوام حيث قال بعد وصفه الطويل لجهادهم: "وكان أبي يقتبطهم ويعظمهم كلما يتحدّث على منهاج هؤلاء المعتمدين في مجاهدتهم" وكما أضاف استقباح منهجهم الجهادي إلى العلماء حيث

٦٨ مساهمات زمرة المؤمنين في نشر الثقافة العربية الإسلامية في نيجيريا
قال: "وكان الإمام على يبتسم كلما سمع ذلك عند أبي ويقول أحياناً في شيء من التهم ما أحسنه لو بدأوا بجادهم من العلم" (٥)

المعاهد التعليمية الرئيسية لدى زمرة المؤمنين الثالث:

اعتاد القدامى من مؤسسي المدارس العربية في نيجيريا على إضافة اسم مؤسساتهم التعليمية الحرة إلى كلمة "المدرسة" ويقولون: مدرسة تحفيظ القرآن ومدرسة الشيخ عالم مثلاً، ولما جاء المتأخرون منهم تغير الوضع واحتلت مكان المدرسة كلمات جديدة يضاف إليها اسم المؤسسات التعليمية كادت هذه الكلمات أن تكون شعاراً لطائفة مستقلة أو رمزاً يشار به إلى جماعة دون أخرى. ومن تلك الكلمات: معهد، مركز، دار وكلية. وثبت في تاريخ المدارس العربية في بلاد يوربا اليوم أن كلمة المعهد أصبح شعاراً للأديين تلاميذ الشيخ تاج الأدب أو الشيخ كمال الدين الأدي، وكلمة المركز للمركزيين تلاميذ الشيخ آدم عبد الله الإلوري. وتستعمل كلمة "الكلية" للمدارس الحكومية وكلمتي "الدار والمدرسة" تتداولان في نيجيريا بين المدارس بدون اختصاص قوم لها. والحقيقة أن كلمة "المدرسة" يجلب استعمالها في الشمال النيجيري كمثل كلمة "الدار" في الجزء الغربي النيجيري.

ولقد وقع اختياري على كلمة "المعهد" للدلالة على مدارس زمرة المؤمنين في نيجيريا دون غيرها للحقيقة التي يعرفها البعيد والقريب من أن جنود هذه الجماعة انبثقت من الشيخ تاج الأدب. والمعهد في معناه الاصطلاحي منظمة دائمة، أنشئت لغرض معين وقد يكون مؤسسة للأبحاث أو جزءاً من الجامعة أو مؤسسة تعليمية حرة، (٦) والأخيرة هي المراد في هذا الصدد والمعاهد الدينية في القرن العشرين القرن الذي نشئت فيه معاهد زمرة المؤمنين، لا يمكن التفصيل بينها وبين المعاهد الدينية في القرن التاسع عشر الميلادي، ذلك أن لتلك المعاهد الدينية حمود بدأت قبل القرن التاسع عشر، واستمرت نشاطها إلى القرن العشرين كما قد أشار إلى ذلك الدكتور على أبو بكر. (٧)

فإن معاهد زمرة المؤمنين اتصفت بما اتصفت بها المعاهد الدينية التعليمية في القرن العشرين وأن كانت قد انتشرت في الآونة الأولى في ذلك القرن (١٩٣٠م). فصفة المعاهد الزمرية في ذلك الزمان ما كانت في الهيئة التنظيمية، حيث تكون المباني المناسبة التي تجمع في طياتها فصولاً ومكاتب، وتتميز كل فصل من فصولها بمنهج المقرر والمدرسون أكفاء قد علم كل أناس مشرهم، لكنها عبارة عن حجرة جلوس الشيخ في منزله، قد تكون واسعة أو ضيقة

وڪامپرون (۱۰)

العامة في بلاد نيجيريا.

١- معاهد زمرة المؤمنين في مدينة إلورن

ج. عبد الكريم عثمان دكتوراً أداراً أهبجي الورن

أَمِينَ اللّٰهَ كِنْدِي إِيَّا أَوْغَبُو (۱۱).

٢- معاهد زمرة المؤمنين في مدينة إبادن

20

نجيريا. الأمر الذي جعل بعض الكتاب يقابونه الزعامة لكافة الجماعة في البلاد، ثم معهد الشيخ أبي بكر أورثامين، ومعهد الشيخ عالم أورأري، ومعهد الشيخ أحمد الرفاعي، ومعهد الشيخ أمسا، ومعهد الشيخ زكريا أوكي زئي آلبافج، وهو من أكبر تلاميذ الشيخ يوسف الأهجي الذي تعلم عند الشيخ في الورن وابادن وكان ينوب الشيخ في تعليم النقباء الستة وغيرهم (١٢). ومن تلك المعاهد معهد الشيخ عبد الرشيد أولوزي ومعهد الشيخ إسماعيل أبي أوذن ألقا بلأبلا، ومعهد الشيخ مبلغ صوت بلالا الشيخ عبد السلام أميغن في الوعظ ومعهد الشيخ أكيلابا وحليفته الشيخ محمد الهادي، ومعهد الشيخ عبد الرحيم أكيغيلي إبادن (١٣). وتعتبر مدينة إبادن عاصمة لحركة زمرة المؤمنين ومركز تنفيذي لأفكارهم القديمة والحديثة ومكان الانتصار والانتشار.

٣- معاهد زمرة المؤمنين في لاغوس

لا شك أن لاغوس كانت من قبلُ عاصمة نيجيريا، وكان الناس يقصدونها ويستوطنونها لمكانتها المؤثرة في قلوب أبناء هذه البلاد وهي عند العلماء، دار الهجرة لنشر الدين والتعليم العربي، وقد بنوا فيها مراكزهم ومعاهدهم التعليمية بل هي محطة الجد والهزل ومركز الامتياز. ولقد اقتدي بعض علماء زمرة المؤمنين بغيرهم من العلماء فأقاموا بلاغوس فأسسوا بها معاهدهم التعليمية التابعة لزمرة المؤمنين الأم في جميع حركاتها. شأنها كشأن المدارس المركزية والمعاهد الأدبية إلا أنها تحافظ على الأسلوب القديم في تعليم الدين والعربية. ومن تلك المعاهد، معهد الشيخ زبير أرازومي، تلميذ الشيخ يوسف الأبهجي وشريك الشيخ عبد السلام بمدبلي، ثم معهد الشيخ أبولو الذي كان شريكاً للشيخ زبير أرازومي. ومعهد الشيخ عبد الفتاح إجاكو تلميذ الشيخ الأكبر ومعهد الشيخ أتي نيزوما تلميذ الشيخ أئيناي أؤفا، ومعهد الشيخ الشافعي مصطفى إمالوتا تلميذ الشيخ الأكبر الأبهجي ومعهد الشيخ يحي أكرزدي إكرزودو تلميذ مباشر للشيخ الأبهجي. ومعهد الشيخ عبد الرحمن تقوي الله هو الأكبر في مدينة أئيني

٤- معاهد زمرة المؤمنين في مدينة أوقا:
كانت مدينة أوقا تحتل مكانة هامة

وكانت في قديم تاريخها تتخذ هذا من مدينة الورد في الأمور الدينية والأوضاع السياسية،
لأنك كان من الميسور أن يمتد إليها كل ما انتشر في مدينة الورد، فمعظم ثقافتها الدينية